تأثير الوظيفة النفسية والرؤية الذاتية في شعر الرثاء الحسيني
قصيدة (صوتٌ تكَنّى) للشاعر وليد حسين انموذجًا

أ.م. خلود هاشم جوحي الوائلي
تدريسية في معهد الفنون الجميلة للبنات

The Impact of Psychological Function and Self-Perception on Husseini Elegy Poetry: The Poem "Saut Tukana" (A Voice Known as) by Walid Hussein as a Model

Asst. Prof. Dr. Khulood Hashim Juhi Al-Waily
Institute of Fine Arts for Girls

ملخص البحث

لاشكَّ أنَّ القيم الروحية الإنسانية الأصيلة تأخذ دوراً مهماً في التأثير بالعواطف النفسية، ولاسيّما أنَّ افتقاد هذه القيم يؤدي إلى تدهور المجتمع الأخلاقي والثقافي، وغيابها أو استبدالها بالصفات السلبية سيتعارض مع الحركة الإصلاحية للأنبياء، وسوف يقود المجتمعات البشرية نحو التدهور والانحدار، وهذه القيم تسهم في النمو الروحي للإنسان، ولها أثرٌ مميز في الوظيفة النفسية فيما تُحدثهُ من سلامٍ ورضًا، أو سخطٍ وتمرد ونفور على المستوى الشخصي، وبالخصوص أنَّ لواقعة الطّف أثرها المُذكى والتأثير الكبير في وجدان الشاعر والناس؛ لأنَّ هذه الواقعة امتلأت بالفصول المأساوية، والصور التراجيدية التي أثارت في النفوس الأسى العميق، فكان هذا الشعور يمثل الصوت التراجيدي الذي نظم فيه الشعراء قوافيهم واسترسلوا بها مشاعرهم ليصلوا بها إلى مشاعر الناس، ويستلهموا ما في هذه الواقعة من دروس وعبر، ولا شكّ أنَّ لهذا التلقي أثرهُ في البعد النفسي وتعالقه مع رؤية الشاعر الذاتية في كيفية إيصال هذه المشاعر، وقد اختارت الباحثة في دراسة هذا البحث قصيدة (صوتٌ تكنّى) للشاعر العراقي وليد حسين، التي يدور موضوعها حول رثاء الإمام الحسين، وما وقع بعد المعركة من ظلم كبير وجبروت وطغيان عمَّ البشرية جمعاء، فازداد البأس وكثُر الطمع، وتوالت الأوجاع، ولم تترك هذه الأهوال المتسع للرضا بهذا الواقع الذي تضمخ بفقد آل بيت رسول الله الطيبين الطاهرين عليهم السلام، إلى أن يشدو بالشاعر وليد حسين بانصداع الكون في فقدهم عليهم السلام، فهو يرجو محبة الآل في قلبه الصَّب، ومقيماً الولاء لهم إلى نهاية عمره، مقدماً قصائده نذوراً لهم ليلتمس منهم الحب والرضا، بل في رأيه لم تكن للشعر مكانةً سامية دون مدحهم وذكر فضائلهم.

الكلمات المفتاحية: الشاعر، الوظيفة النفسية، شعر الرثاء، الرؤية الذاتية.

Abstract.

There is no doubt that authentic human spiritual values play an important role in influencing psychological emotions since the lack of these values leads to the deterioration of the moral and cultural society, and their absence or replacement with negative qualities will conflict with the reform movement of the prophets. It will also lead human societies towards deterioration and decline. These values contribute to the spiritual growth of man, and have a distinctive effect on the psychological function in what they bring about of peace and contentment, or discontent, rebellion and aversion on the personal level. This is because the Karbala incident has its revitalizing effect and great influence on the conscience of the poet and people because was filled with tragic incidents and images that stir deep sorrow in souls.

This feeling represented the tragic voice in which the poets composed their rhymes and conveyed their feelings to reach the feelings of the people, and to draw inspiration from the lessons and morals in this incident. There is no doubt that this reception has its effect on the psychological dimension and its connection with the poet's standpoint in how to convey these feelings. The researcher chose studying this research the poem "Saut Tukana" (A Voice Known as) by the Iraqi poet Walid Hussein, whose subject revolves around the elegy of Imam Hussein, and what happened after the battle of great injustice, tyranny and oppression that spread throughout humanity. The affliction intensified, greed increased, and pains continued. These horrors left no room for acceptance of this reality, which was tainted by the loss of the pure and virtuous family of the Messenger of God (peace be upon them). The poet preserves the love of the family in his aching heart, and remains loyal to them until the end of his life, offering his poems as vows to them, seeking their love and satisfaction. In fact, in his opinion,

poetry has no lofty status without praising them and mentioning their virtues.

Keywords: poet, psychological function, elegy poetry, subjective vision.

الشاعر في سطور.

هو وليد حسين ميرولي عباس الخطاوي الكناني، ولِدَ سنة ١٩٦٠ميلادية، في محافظة بغداد في منطقة تسمى (الكولات) مقابل محلة قطران، وهي منطقة تراثية بغدادية شعبية مزدحمة قديمة سكنها اليهود سابقاً، تقع وسط بغداد تمتد من منطقة العكد وصولاً إلى شارع الكفاح (شارع الملك غازي سابقاً)[١]، وقد أكمل الدراسة الابتدائية في مدرسة المجدل بمدينة الثورة، وكذلك أكمل دراسته المتوسطة في مدرسة الفلاح في المدينة نفسها، ودراسته الإعدادية كانت في مدرسة الكفاح الواقعة مقابل مرآب النهضة العام، أما دراسته الجامعية فقد كانت في كلية الفقه في محافظة النجف الأشرف، إذ حصل فيها على شهادة البكالوريوس في الشريعة والعلوم الإسلامية سنة ١٩٨٥/٦/٢٨ميلادية، والشاعر وليد حسين من شُعراء جيل التسعينيات الذي عانى التغيّب والتغييب بسبب سطوة النظام السابق؛ إلاّ أنّهُ ظهر يصدح بأشعاره بعد سقوط النظام بقصائد ومجاميع شعرية جميلة ورائعة يُكتب لها مكاناً في الذاكرة؛ لأنّها تفيض بمشاعر الحنين والأسى أو الحب والتفاني، أو النهضة والسخط والرفض، وهذا ما يمكن أن يُكتب لهذا النوع من الشعر بأنّهُ شعرٌ يلامس الوجدان قبل كل شيء الأمر الذي جعلهُ من الأُدباء والمثقفين الذين يتبارون في ميدان القلم، وأصبحت لهُ سمة شعرية ظاهرة في المنتديات والميادين الأدبية والثقافية منها الاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العراقيين، والاتحاد العام للكتاب العرب، وعضو الاتحاد الدولي للصحافيين العراقيين، والاتحاد العربي للصحافيين العرب، وقد قُبِلت عضويته في الاتحاد العام للأُدباء والكُتّاب العراقيين بعد سنة ٢٠٠٣ميلادية بمدة قريبة، وقد قام الاتحاد بطبع مجموعته الشعرية الأولى

الموسومة بـ(لهفي على زمنٍ تباعد)، والتي تكفّل اتحاد الأدباء والكُتّاب بمساعدة مؤسسة عبد العزيز الباب طين في طبعها سنة ٢٠٠٥ميلادية على نفقتها الخاصة، وبعدها توالت إصدارات الشاعر الكثيرة والمتنوعة ضمّنها موضوعات اجتماعية، ودينية، ووطنية، ووجدانية، وغيرها. منها:

١- لهفي على زمن تباعد الذي طبعَهُ الاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العراقيين في العراق سنة ٢٠٠٥ميلادية.

٢- صدى لزمن الغربة طبعتهُ دار الشؤون الثقافية ببغداد سنة ٢٠٠٩ميلادية، والطبعة الثانية سنة ٢٠١١ميلادية.

٣- وطن معابد الطين (مختارات من شعر وليد حسين)، طُبع في دار نينوى في دمشق، ٢٠١٢ميلادية.

٤- أنا لا أرى قُبحي، طُبع في دار نينوى في دمشق سنة ٢٠١١ميلادية.

٥- أنثى من النارنج، طُبع في بيروت دار الرافدين في بيروت، سنة ٢٠١٦ميلادية.

٦- قراءات لنصوص من ضوء الروح والقصيدة تجربة الشاعر وليد حسين لمجموعة من الكُتّاب والنُّقاد، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٣ميلادية.

٧- على مرمى حجر طُبع في دار الرافدين، بيروت، لبنان، سنة ٢٠١٧.

٨- صيرورة الماء، طُبع في دار الرافدين، بيروت، سنة ٢٠١٦ميلادية.

٩- وشم بالذاكرة طُبع في دار الرافدين، بيروت، ٢٠١٧.

١٠- قتامة الصبح طُبع في دار الشؤون الثقافية، بغداد، سنة ٢٠١٩ميلادية.

١١- لا أشتهي همس السؤال طُبع طبعتين منها دار أفاتار في القاهرة ٢٠١٩ميلادية، والثانية في مطبعة الاتحاد العام للأدباء والكُتّاب العراقيين سنة ٢٠٢٠ميلادية.

١٢- رهانات المنافي، طُبع في دار القدس في سوريا، وطبعة أُخرى في بغداد في دار المتن، سنة ٢٠٢٠ميلادية.

١٣- شهيًا إذا أرخى، طُبع في دار

القدس في سورية سنة ٢٠٢١ ميلادية، وفي بغداد في دار المتن.

١٤- لعلّني... كغيمةٍ، طُبع في دار القدس، في سوريا.

١٥- للآن... ألتمسُ بريقاً، طُبع في دار القدس، سنة ٢٠٢٢ ميلادية.

١٦- أزاهير مُتَّقدة، طُبع في دار نينوى في دمشق.

١٧- ترميم الأزمنة، طُبع في دار الصحيفة العربية في بغداد، والعرّاب في دمشق.

١٨- من ذاكرة الصمت، طُبع في دار الصحيفة العربية في بغداد والعرّاب في دمشق.

١٩- الأعمال الكاملة إلى سنة ٢٠١٧ ميلادية في دار الرافدين.

٢٠- للسندس أطوار، طُبع في دمشق في دار نينوى.

٢١- ظلّي هناك، طُبع في دار نينوى في دمشق سنة ٢٠٠٧ ميلادية.

فضلاً عن مشاركات الشاعر وليد في مجموعة كثيرة ومتنوعة من المحافل الشعرية التي أُقيمت في العراق، منها: الجواهري، والمِرْبَد، والمتنبي، وفي محافظة ميسان ابو تمام، وكلاويز، والكميت، وأيضاً هناك بعض المحافل الشعرية في كركوك والأنبار. ولهُ أيضاً مشاركات شعرية وقراءات خارج العراق في الجزائر، وليبيا، وتونس، ومصر، ولبنان، وسوريا. وقد أثمرت هذه الإمكانات الشعرية الفذّة المبدعة أن ينال الشاعر مجموعة من الجوائز منها إحدى الجوائز الثلاث في برنامج (سحر البيان)، وحصوله على جائزة الإبداع العربي في الشعر من وزارة الثقافة، فضلاً عن ذلك تمثيله عن بلده العراق في محفل تلمسان عاصمة الثقافة العربية بعدد من القراءات الشعرية.[٢]

نص القصيدة.

"صَوتٌ تَكَنّى
ظُلْمٌ بِحجمِ الأنا
في الناسِ ما انقشعا
يزدادُ بأساً.. فأذكى بيننا الطَّمعا.

مُصيبةُ الآلِ غطَّتْ كُلَّ جانحَةٍ ... فَقَد أودَى بِمَن جَزَعا
مُنذُ اغتيالٍ ... ما أدركَ الفتحَ..
ألم تَمنَحكَ مُتَّسعا..؟ ... لَيسَ الفتحُ ديدنهُ
نالَتْ منَ القلبِ حَتما.. ... لكنَّ جوعاً قديماً أسرجَ الخُدَعا.
كم أهاجَ بِنا ... تناسلَ الحزنُ كم أزرَى بِمَجزرَةٍ
رَكبُ الأُسارى بموتورينَ مُذْ سَطَعا ... حيثُ الغيابُ بِلَونِ اليأسِ قد طُبِعا
نمشي على جُثثِ الأيامِ دون هُدى ... ويستزيدُ كنارٍ قَد أحاطَ بِها
وخلفُنا مِنْ غُبارِ الوقتِ ما شَسَعا ... لَمّا استشاطَ
كُلُّ الميادين مِنْ أوجاعِكَ اتّخذَتْ ... لَعَلَّ الفقدَ قَد لَفَعا
في ساعةِ الحَربِ أوجاراً ومُنتجعا ... حتّى أراني..
أيقنْتُ حتفَكَ يومَ الطَّفِ ... عَليلاً غَيرَ مُنْحَسِرٍ
يا قَلقَاً... ... تَمضي بيَ الآهُ جِسراً دونَكَ الوَجَعا
بِكَ الحِمامُ يهزُّ القلبَ إنْ فَزِعا ... وَلَستُ أُسرعُ..
ورَاحَ يهتِفُ في أعقابِ نَشوتِهِ ... في اصطام واعيةٍ
ويستلذُّ بِحَيْفٍ أوجفَ الشِّيعا ... في موحشِ الدَّربِ يلقاكَ الّذي سَمَعَا
ويستقرُّ على أوداجِ مُعتكِفٍ ... وتَستكِنُّ جِراحُ الأمسِ في خَجَلٍ
دونَ اندلاعِ لسانٍ ... لِكي تُعيدَ نُدوباً اثخنتْ سَبُعا
كادَ أنْ يَقَعا ... وما أخالُكَ بعدَ الآنِ منحنياً
ويستميلُ.. ... إذا غَفَا الجُرحُ
وَلَن أَخشى قوابضَهُ ... أيقَظتَ الذي صُرِعا
يومَ الفرارِ ... يا كُلَّ صوتٍ تكنّى خلفَ مسمعهِ

إذا تكشّفَ سَتْرٌ..
أَورثَ الصَّلَعَا
في كربلاء..
وكَم شَكَوى تَميدُ بِها
لّما أحسَّ بأنَّ الأرضَ لَن تَسِعا
حيثُ القرابينُ تَرقَى في نبوءتها
ومَنْ تَجَشَّمَ فوزاً..؟
فالمليكُ رَعَى
رَأسٌ يدورُ..
وكفُّ الغَدرِ تحملهُ
ما زالَ مُشتكياً لله مُذْ رُفِعا
يستنطقُ الغَيبَ..
يُندي مِنْ بَوارقِهِ
وما تَخاذَلَ عَنْهُ الناسُ إنْ نَبعَا
ونستظلُّ بِحَسمٍ قد أتاحَ لَنا
أن نهجرَ الخوفَ إيماناً بِما انتُزِعا
ونَستعيدُ قُواماً
ما أضرَّ بِهِ
صبرُ المُسجّى بملهوفينَ قَد فُجِعا
حكايةُ الخَلقِ هَزَّتْ في أُرومتها
مكامِنَ الدينِ في الإنسانِ يومَ وَعَى

وراحَ يبحثُ عَن نَدٍ لَهُ عَبَثا
وقد يُصادِفُ ربّا فِيكَ قَد خَنَعا
ما كنتُ يوماً إلى إدراكِ غايتِهِ
غيرَ انعتاقِ الجَّوى في الخافقينِ معا
إنِّي أُكابرُ في أمرٍ نهضتَ بِهِ
كي تستَعيدَ لنا الإسلامَ لا الوَدَعا
وتستمدُّ مِنَ الرَّفضِ العَظيمِ اباً
كأنَّ ثغرَكَ مِن صفَّينَ قَد رَضَعا
وكيفَ تنأَى بِرَكبٍ..!
عمَّ وجهتهُ
وتلكَ خيلُكَ تَستَعصي الذي هَرَعا
ما غابَ عنَّا كليلُ الطرفِ محترزاً
لو قامَ يُسعفُ من عينيهِ ما هجعا
وما تخلَّفَ رَغمَ الجَورِ عَن مُهجٍ
حاز المُتيّمُ
حتّى أدركَ الشِبعا
يا شبلَ هاشمَ
هل ألقاكَ مؤتزراً..؟
وقد تصدّعَ فِيكَ الكونُ فانصدعا
يا حيرةَ العَقلِ كم أرجو محبّتكم
لي قلبُ صَبٍّ..

أشاعَ الحُبَّ فاندلعا
في كُلِّ عامٍ
يحدُّ الحزنُ من فمنا
لَما غشانا جَهولٌ كنتُ مُدّرِعا
حتّى تفرّقَ عمّا كانَ يطلبهُ..
ديمومةِ الحالِ
ألقَتْ حَولَنا البِدَعا
وما مال عَنكَ شحيحٌ
بعدَ سانحةٍ
وكانَ يحظى بِبعضِ الودِّ لَو رَجعا
سارَ اندفاعاً
أغاض الشَّكَّ مُتَّهمٌ
وما تَخَطَّى عزوفَ العَقلِ فانخدعا
وكيفَ يُرجى..؟
وإنِّي حاضرٌ معهُ
والموتُ يمضي بذاتِ البينِ قد وَسِعا
ويستجيرُ بِركنٍ كانَ مُتّحدا
لكي يُعيدَ لنا التاريخَ والوَلَعا
نتلُو عن الشَّرق أنباءً لملحمةٍ
نستعرِضُ الحقَّ
فيمَن خطَّ وابتدعا

نُرَمّمُ الذهنَ في دَرسٍ وذاكرةٍ
بِها قوائمُ من ضَحّى... ومَنْ خَضَعا
بقيّةُ العُمرِ شَادَتْ خيرَ ما زُرِعا
ما زالَ صوتُكَ يُزجي في أعنتِنا
حجمَ السُؤالِ
أهاجَ السَّيلَ فاندفعا
إنِّي نَذرتُ صحارى العُمرَ ملتمساً
بعضَ النُّذورِ
لَها باعٌ بِمَنْ قَطعَا
يستأنفُ السَّيرَ في أحداقِ مُحتَشدٍ
وكم أنارَ الدُّجى
ما باتَ مُضطَجِعا
وأستزيدُ عَلَى حَسرَاتِ واقعةٍ
بيتُ القصيدِ تلوّى أينما وُضِعا
ولم أُبالِ...
اَلا تَبّاً لمتّخذٍ
منِ المُضلّينَ رَفداً كانَ مُتّبِعا
مكانةُ الشعرِ تسمُو في مدائحكم
وقد تخطَّتْ سبيلَ النُّصحِ والوَرَعا
يحذو بِها الوعيُ عمّن نالَ غُربَتكُم
لِذا أراهُ بنيلِ الخُلْدِ قَد بَرَعَا

لَم يَخشَ يوماً..
وفي كفّيهِ أوردةٌ
مِنَ الحُصونِ بِها يستمرئُ النَّجَعا."[٣]

الأثر النفسي والرؤية الذاتية للشاعر عبر قصيدته (صوتٌ تكّنى)

لم تعدُّ القصيدة الشعرية لوناً من ألوان الترف الشعري، أو هاجساً من هواجس الترف الوجداني، أو هي توجهاً فنياً اجتماعياً تستذوقهُ المحافل الأدبية في فعالياتها، أو ربّما هي استعراض قدرة الشاعر وتمكنه من التعبير عن مشاهد الغزل، أو التلذذ بوصف الخمر؛ بل عادت القصيدة العربية تستنطق الوجدان وتستثير النوازع الإنسانية في الإحساس المخبوء تحت وطأة المغمور، أو فزع المشاعر لتستنهض الأحاسيس من ركامات الأثقال والجمود إلى فاعلية تُستدر فيها مكامن القوة أو الثأر، أو استفزاز ذاكرة الإنسان مستيقظةً من صوت الناعي وهو يتهادى بين هذه الصور وتلك اللوحات؛ ليستمع إلى صور تراجيدية تمتد ترانيمها إلى زمن بعيد يمتد بامتدادات الزمن المثقل بركامات تلك المشاعر المخبؤة لتمتشق السيف لاستنفار كل الطاقات والقوى لتتابع الحدث، وبعدها الصور ولاسيّما فاجعة الطّف التي أسهمت بلون خضابها الأحمر القاني في تسجيل هذا الإبداع في الشعر الرثائي الحسيني المتصاعد مع الإعداد النفسي للشاعر وتوجهه الذاتي، وهو يرسم بريشة الفنان ما وقع على شخوص واقعة الطّف من جسد مرضوض، أو رأس على القنا مرفوع، أو خيام ملتهبة بألسنة النيران، ليمثلها الشاعر في صور تراجيدية مبدعة، وآهاتٍ مأساوية موجعة؛ لكن من المثير في هذا أنَّ تشخيص الشاعر وليد حسين في قصيدته لجوانب تراجيديا الطف أسهمت في اقتناص مشاعره الوجدانية الجياشة التي ارتفع أنينها المتصاعد مع أحداث واقعة الطّف، وكأنَّ الشاعر

يعكس آلام الواقع ومآسيه عبر أحداث هذه الواقعة الأليمة وكأنّهُ يستنهض بالإمام الحسين عليه السلام وآلِ بيته الأطهار ليستنقذوا الأمة الإسلامية من الظلم والدمار والتخلف والعنف والبؤس والفقر والضلال وضياع الدين والتهاتر بالقيم الأخلاقية النبيلة التي من حقِّها أن ترفع الإنسان وتجعلهُ غاية الوجود في حياة حرّة كريمة، ولاسيّما أنَّ هذه المشاعر الجياشة تُرافق أوصال قصيدته من أولها إلى آخرها، وتدفع بإحساس الشاعر إلى أن ينمو وتتداعى شيئاً فشيئاً في صورٍ حسية متراكمة صورةً بعد أخرى لتقدّم الغرض الذي أراد الشاعر أن يُقدمه، وبمعنى آخر فأنَّ أغراض القصيدة الحسينية لا تقف عند نهاية معينة بقدر إحساس الشاعر وعواطفه اللامتناهية، فالعاطفة الشعرية ليست لها نهاية تتولد من هواجس الشاعر ورؤاه الذاتية ليرتسمها أخيلةً فتنبثق إلى صور حسّية تتطابق مع أبجديات مشاعره الوجدانية الكربلائية، وهذا الإبداع مستوقفاً على الشعر الحسيني بلا منازع.

وهذا ما استوقفني لدراسة فكرة تأثير الحالة النفسية وهيمنتها على الرؤية الذاتية للشاعر، فقادني هذا الأمر إلى أن أتتبع هذا الإحساس في قصيدته (صوتٌ تكنّى) التي وجدتها قد تشبعت بالانفعالات الوجدانية، والأحاسيس الروحية التي تنامت في القصيدة وكَبُر معها الخيال كلما لامست القصيدة أجواء واقعة كربلاء، وهذا دليل على أنَّ القصيدة الحسينية كلما أرادت الوغول في ذات الشاعر تُوّجت بفنية عالية تأخذ ذهن المتلقي إلى واقع انفعالي تُسهم الإضاءات الروحية في اظهاره والكشف عن نقابه.

والأدب بما فيه الشعر بصفة خاصة لا محالةَ أن يكون فناً هادفاً يرسم غاية منشودةً كأن تكون نفسية، أو

اجتماعية، أو أخلاقية، أو سياسية فمن الواجب أن تستند في ذلك إلى أمرين: مبدأ الالتزام في الأدب الذي يقابل مبدأ الفن للفن، وإلى استقراء شعر القضية الحسينية الذي يعالج قضايا الإنسان العربي والتعبير عن هموم الناس وطموحاتها في العيش بحياة حرّة كريمة[٤] الأمر الذي استدعى أن يوظف الشاعر وليد حسين الحقائق التاريخية المتمثلة بمشاهد واقعة كربلاء من أجل ربط الحاضر بالماضي ليكون دليلاً عميقاً للانتماء التاريخي المتمثل بإحدى صفحات التاريخ الناصعة وهي صفحة النهضة الحسينة التي انطلق منها منذ عنوان قصيدته (صوتٌ تكنّى) وأرادَ بذلك الصوت المدويّ من وراء الأستار والحُجُب لتنبيه القارئ ولفت انتباهه لما يريد أن يقول حتى جاءت جملته الإخبارية:

"ظُلْمٌ بِحجمِ الأنا
في الناسِ ما انقشعا
يزدادُ بأساً.. فأذكى بيننا الطَّمعا.
مُصيبةُ الآلِ غطَّتْ كُلَّ جانحَةٍ"[٥]

بأنَّ هناك ظلمٌ كبير يتسع بعدد أنفاس الناس مشيراً إلى ذلك بضمير (الأنا) الذي عكس صورة الآخر، وبالخصوص أنَّ هذا الظلم لم ينقشع، ولم ينقطع وشيكهُ؛ بل يزدادُ يوماً بعد يوم بؤساً ويأساً، فينتشر بين الناس الطمع والجشع، ولاسيّما أنَّ الشاعر قد نجح في إظهار معانيه عبر إيقاع لغته، إذ استطاع أن يخلق تناغماً موسيقياً بارعاً بين الهيكلين الدلالي والإيقاعي في أبياته ليعبر عن معانيه وما يخالج نفسه بأدقِّ تعبير، وهنا يقف الشاعر ليعرض على مسرح قصيدته أحداث التاريخ الأليمة وكأنّهُ يريد أن يخلق وشائج قوية وأدلة مقنعة تربط حاضر القصيدة بأحداث واقعة كربلاء ليمتشق منها حقائق وبينات يريد إيصالها إلى المتلقي بأنَّ أحداث هذا الواقع الأليم ما هي إلا امتداد لواقع

أحداث آل محمد عليهم السلام المتمثلة باغتيال سبط النبي صلى الله عليه وآله واستباح حقّه في الخلافة عليه السلام لذلك نرى الشاعر قد وقف على عتبةٍ أخرى بين سطور قصيدته ليقول للقارئ (منذُ اغتيال) ليمنح نصّهِ دلالةً قوية وثرية في الاقناع، ولتأكيد عمق انتمائه التاريخي. ثُمّ يتوجه الشاعر وليد حسين بأسلوب الاستفهام التقريري بعبارته: (أ لم تمنحكَ مُتَّسَعا؟) وقد أراد بذلك أن يوجه خطاباً انفعالياً للسامع بأنَّ هذه الأحداث التي تعانيها الأمة اليوم من ظلم ساحق وحقٍّ ماحق، وبؤسٍ بغيض وطمعٍ رهيب أ لم تمنحكَ أيُّها الإنسان متسعاً من التفكير والربط بين الماضي والحاضر، فهنا تتصارع ميول الشاعر ونوازعه مع أحداث الطّف ليقدّم حجاجاً منطقياً للمتلقي بأنهُ كما أحداث الطّف قد نالت ما نالت على مرِّ الدهور والأزمنة حزناً موجعاً في القلب، وهاجت في النفوس الألم الممرض وكأنّها مثّلت فرار النفس من حزنها هروباً إليها لعلَ النفس تجد بغيتها في سكون همّها وفرج غمّها، فيستجلب الشاعر صورة ركب أسارى آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وصورة الأخذ بثأر الموتورين[٦] في قوله: ركبُ الأُسارى بموتورين مُذْ سَطَعَا[٧]، ليجعلها حججاً دامغة اضطلعت بهموم الإنسانية الكبرى، ومعبراً عن الالتزام بمبادئ الثورة الحسينية، لأنّ هذه المبادئ تنهض بالإنسان إلى عالم يتحقق فيه السمو الروحي، ثمّ ينشد الشاعر بصوت الأنا الجماعية قائلاً:

"نمشي على جُثثِ الأيامِ دون هدى
وخلفنا من غبار الوقت ما شَسَعا"[٧]

بأنَّ الإنسان تتجاذبهُ النزوات والغرائز، فيكون معرضاً لصراعاتها فكأنّ الشاعر يلبي حاجته النفسية للاقتصاص من أعداء الإسلام والدين ممثلاً بقتلة الإمام الحسين عليه السلام ومشيراً بذلك إلى حنق الشاعر وغضبه عليهم، والتحريض على الأخذ بثأر

الإمام الحسين ﷺ ثُمَّ يوظف استعارةً مكنيةً وهي (نمشي على جثث الأيامَ) مشخصاً الأيام بأنَّها جثثاً ويمكن المرور عليها باستعمال صوت الأنا الجماعي في لفظ الفعل (نمشي) للتوكيد ولفت الانتباه، ثُمَّ يعقب الشاعر بعدها بأبيات يصور فيها أوصال جسد الإمام الشريف كلّها في ساعة الحرب وهي مضمّخة بفعل السيوف والرماح قطعاً وطعناً في قوله:

"بِكَ الحِمامُ يهزُّ القلبَ إنْ فَزِعا
ورَاحَ يهتِفُ في أعقابِ نَشوتِهِ
ويستلذُّ بِحَيْفٍ أوجفَ الشِّيعا
ويستقرُّ على أوداجِ مُعتكِفٍ
دونَ اندلاعِ لسانٍ
كادَ أنْ يَقَعا
ويستميلُ.."[٨]

وهنا أثارت الوظيفة النفسية مكامن عواطف الشاعر وانفعالاته فجعلتهُ يرتسم خيالاً مجنّحاً يستعدُّ فيه لتقبل تلك القضية، وحينما يكون النص الشعري موظفاً لهذه القضية، فأنَّ محور الالتقاء سيكون عند التلقي والمتلقي، وهي رؤية الشاعر الذاتية المتحققة بالقلق عندما يتيقن أنَّ يوم الطّف هو يوم استشهاد الإمام الحسين ﷺ فيبدأ الشاعر بسرد مجموعة من الجمل الفعلية التي تدلُّ على سير الأحداث وتغييرها على مسرح الجريمة، وهي قتل الإمام ﷺ وظلم حقّ أهل البيت ﷺ لأنَّ بقتله قد هزَّ الموت قلوب العالمين فزعاً وحزناً عليه، ومن سرعة هذا الموت أصبح الظلم مستلذاً به، فأخذ بالاستقرار على أوداجه وجاثماً على أنفاسه الشريفة ﷺ من غير اضطراب، وكأنّهُ يريد الشاعر إعطاء صورة مهيبة يؤطرها بالكمال للجسد الشريف المبارك ﷺ ثُمَّ يتكلم الشاعر بلغة الواثق المطمئن لرسوخ مبادئ واقعة الطّف التي نادى بها الإمام الحسين ﷺ وهو قوله: "لن أخشى سيف الموت ورماحه يوم الفرار؛

لأنَّ هذا الموت لا يدرك إلا مَنْ خاف وجزع":

"وَلَن أَخشى قوابضَهُ[٩]

يومَ الفرارِ

فَقَد أودَى بِمَن جَزَعا"[١٠]

ثُمَّ تنطلق همة الشاعر العالية بأنَّهُ يريد القول أنَّ الإمام عليه السلام ما أراد أن يقاتل من أجل فتح أو حق في خلافة فحسب؛ بل لأنّهُ رأى مبادئاً تُفنى، وشريعةً تُمحى، وحياةً يسودها الاضطهاد والجوع وكأنّها يُهتدى بها إلى الظلم الذي يتضاعف ويزيد، وسط غياب الحقِّ، وتفشي اليأس في الذمم، فقد آثرت مشاعر الفقد الحزينة لآل بيت النبي عليهم السلام فشملت مناحي الحياة كلها، وكأنَّ هذه المشاعر لفعتها حرارة النار فشملت الوجود كلّهُ وجللتهُ بأثقال الضياع، إلى أن يقول الشاعر جملتهُ (حتّى أراني) بصوت المتكلم الياء التي مثلت اسقاطاً شعورياً بألم الفاجعة التي تمضي به وكأنّها جسراً جاثمًا على الصدر من شدة الوجع:

"ما أدركَ الفتحَ..

لَيسَ الفتحُ ديدنهُ

لكنَّ جوعاً قديماً أسرجَ الخُدَعا.

تناسلَ الحزنُ كم أزرَى بِمَجزرَةٍ

حيثُ الغيابُ بِلَونِ اليأسِ قد طُبِعا

ويستزيدُ كنارٍ قَد أحاطَ بِها

لمّا استشاطَ

لَعَلَّ الفقدَ قَد لَفَعا

حتّى أراني..

عَلِيلاً غَيرَ مُنْحَسِرٍ

تَمضي بيَ الآهُ جِسراً دونَكَ الوَجَعا"[١١]

وبهذا يرى المتلقي لأبيات الشاعر حالةً من الانتقال بين فاجعة الطف وحالة إحساسه بالواقع المظلم الذي يموج بألوان الظلم الشديدة التي ما أن تصل فيه الجراح إلى درجة الإغفاء والوعي إلى الصمت والدّرب إلى الوحشة والجروح إلى السكون وهي استعارات مكنية أشبعها الشاعر بالآلام والمعاناة، اراد ايقاظها الشاعر

بصوتٍ عالٍ أسمع فيه كلَّ سامع حتى المصروع وهذه حالةٌ حتّمتها عليه حالته النفسية ورؤيته الذاتية لمواقف الحياة؛ كي يكشف الستور عن واقع متناهٍ في الزيف والافتراء، وهتك الحرم وقتل الهمم، حتى أخذ الشاعر ينادي (في كربلاء) ويُنزل في هذه الأرض المقدّسة شكواهُ التي لم تتسع لها لكثرة القرابين المقدّمة عليها، وهي ما كانت إلا فوزاً المليكُ رعاهُ.

ووسط هذه المشاعر الأليمة يرسم الشاعر وليد حسين صورة يؤطرها بمشاعر التحسر والتأوه لرأس الإمام الحسين عليه السلام وقد رفعتهُ كفُّ الغدر فوق الرماح، جاعلاً الرأس الشريف مشتكياً لله منذُ رفعهِ مستنطقاً الغيب في الحذر مما سيقع ويأتي إثرهُ من الخذلان والخوف من المصير، وكأنّ الشاعر أعاد الموازنة النفسية التي انتمى إليها بحكم ما تعرّض له من عوامل القهر والاضطهاد ليستعيد حكاية الخَلق التي هزّت أحداث واقعة الطّف في أُرومتها مكامن الدين والإنسانية، محاولاً عبر التحريض أن يُعبر الشاعر عن ولائه لأهل البيت عليهم السلام فيستنهض فيهم استعادة قيم الإسلام الحنيفة وليس الوداع لها، ولاسيّما أنَّ هذه القيم روحية أصيلة مستمدة من رفض الظلم والاستعباد والذل، فينادي الشاعر بصفة خطابية مجلجلة قائلاً إنَّ القيم الإنسانية الراقية التي نادى بها الحسين عليه السلام هي قيم ربانية استلهمها من ثغر واقعة صفين، وهي استعارة مكنية أراد الشاعر أن يُبين رؤيته الفنية بأنها قيم دينية ورثها من قيم الرسالة العلوية، ثُمَّ يصدر الشاعر نداءً صريحاً اختزل فيه كل المعاني الإسلامية والقيم الدينية الأصيلة بقوله: (يا شبل هاشم) ويعقبهُ باستفهام تصديقي مصدّراً بـ(هل) الغرض منهُ التحسر والاستبعاد أي يتحسر الشاعر ويستبعد أن يُلقى الإمام الحسين عليه السلام مؤتزراً وقد تصدّع

فيه الكون فانصدع، ثُمَّ يعبر وليد حسين عن ولائه لأهل البيت عليهم السلام منطلقاً من البراءة من أعدائهم، وهذا جزءٌ من رسالته الأدبية التي أفاضت بمعاني الالتزام والرسالة الهادفة التي تُدعم قيم الإنسانية، وما كان هذا التحريض إلا بوصفه دعوات ولائية تعكس الحالة النفسية للشاعر فيقول: "(كم أرجو محبتكم، ولي قلبٌ صَبٌ، وكيف يُرجى، وإني حاضرٌ معه، إنِّي نَذرتُ صحارى العمر ملتمساً)" وما هذه الدعوات إلا صورة من التساؤل والذكر لحقائق التاريخ بقوله:

"لكي يُعيد لنا التاريخ والولعا
ونتلو عن الشّرق أنباءً لملحمةٍ
نستعرض الحق
فيمن خطَّ وابتدعا"(١٢)

وبعدها يقف الشاعر محاولاً أن يخلق حالةً من التوازن والاطمئنان الروحي الداخلي الذي ينتقل به إلى المتلقي ليتماهى ويتحد مع النص وكأنَّ المتلقي هو من يقول ذلك مع ائتلاف عنصر الموسيقى ليعطي وظيفة نفسية تمضي إلى مزج الأنا مع الآخرين لخلق بعداً اجتماعياً متكاملاً.

قائلاً:

"نُرمّم الذهن في درسٍ وذاكرةٍ
بِها قوائمُ من ضَحّى... ومَنْ خَضَعا
بقيّةُ العُمرِ شَادَتْ خيرَ ما زُرِعا
ما زالَ صوتُكَ يُزجي في أعنتِنا
حجمَ السُؤالِ
أهاجَ السَّيلَ فاندفعا
بِها قوائمُ من ضَحّى... ومَنْ خَضَعا
بقيّةُ العُمرِ شَادَتْ خيرَ ما زُرِعا"(١٣)

لاستعراض القوائم التي سُجّلت فيها أسماء الشهداء الذين ضحوا في سبيل إحياء معالم الدين القويم، وأسماء المناوئين الخاضعين لجبروت الظلم وسلطان الذل والخيبة، وكأنَّ الشاعر يستشرف مآسي الواقع عبر إحساسه لما يُثيره هذا الواقع في ذاته من حسرات وخيبات يحاول افراغها

في أحداث ثورة الإمام الحسين عليه السلام وكأنَّ الشاعر يريد أن يقول بأنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد شهد مثل هذه المآسي في عصر الشاعر، ثُم يشير الشاعر بقوله:

ما زال صوتُكَ يُزجي في أعنتنا[١٤]،

إشارةً رمزية بأنَّ صخب الواقع ومعاناته لا يجد لها الشاعر ملجأً يلوذُ ليه غير ملجأ الإمام الحسين عليه السلام فيدفع هيجان سيل صعوباتها ومآسيها ببركة ذكره عليه السلام فتندفع وتنقشع، وهذا لا يعني هروباً من مواجهة ذلك الواقع أو نكوصاً من الشاعر؛ محاولةً منهُ لاكتشاف الذات التي لا تجد بغيتها إلا بذكر الحسين عليه السلام فينذر عمره ملتمساً الرحمة والمغفرة والشفاعة منه عليه السلام، وبعد ذلك يختم أبيات قصيدته بقوله:

"مكانةُ الشعر تسمُو في مدائحكم
وقد تخطَّتْ سبيلَ النُّصحِ والوَرَعا
يحذو بِها الوعيُ عمّن نالَ غُربتُكم
لذا أراهُ بِنَيلِ الخُلْدِ قَدْ بَرَعَا
لم يخشَ يوماً
وفي كفّيهِ أوردةٌ
مِنَ الحُصونِ بِها يستمرئُ النَّجعا"[١٥]

بأنَّ مكانة شعره لا تسمو ولا يُكتب لها الرفعة إلا في مدح فضائل أهل البيت عليهم السلام والثناء عليكم، فالشاعر بوصفه فناناً لا شكَّ أنَّ حاجاته ورغباته النفسية تبقى من غير اشباع مما يحدو به إلى حالةٍ من القلق أو التوتر فيلجأ جاهداً لنزع ذلك القلق النفسي باللجوء إلى رحاب شخصية الإمام الحسين عليه السلام المقدّسة ليستمرئ منها عالماً آمناً محصّناً نقياً يستفرغ فيه همومه وهموم عصرهِ.

وبهذا استطاع الشاعر عبر أبيات قصيدته أن يتكلم مرةً بضمير (نا) ومرة بضمير (نحن) بلسان الجماعة إشارةً منهُ في مشاركة الآخر (المتلقي) بإظهار انفعالاته ومشاعره في موضوع قصيدته محاولةً منه أن يكون أدبهُ جماعياً يستقطب فيه الإحساس العنيف القاهر بهذه العواطف، وبهذا استطاع الشاعر

وليد حسين أن يوصل بين جنباته هموم واسعة من أمته مشتركةً كلها في الإيمان بقضية الإمام الحسين عليه السلام العادلة.

خاتمة البحث:

بعد هذه الوقفة الشائقة بين متون البحث، توصلت الباحثة إلى نتائج رحبة المضامين يمكن أن تكون خاتمةً لدراستها، وهي:

- تفوق الشاعر في إيصال معاني قصيدته إلى المتلقي عبر نقله لأحداث فاجعة الطف الأليمة وأهدافها المقدسة النبيلة، فالقارئ لها يجد روح تلك المضامين ظاهرةٌ عليها منذ أول أبياتها.
- بانت على القصيدة اللغة الواضحة السهلة واليسيرة فلا غموض ولا تعقيد فيها، فكان الشاعر موفقاً في اختيار الألفاظ التي تتناسب والسياق العام للقصيدة.
- كان لفني التضاد والاستعارة وبخاصة المكنية حضوراً كبيراً في قصيدة الشاعر.
- استعانة الشاعر بالأساليب الانشائية والخبرية في قصيدته والتي خرجت إلى معانٍ مجازية، فهذه الأساليب تمنح نص الشاعر القوة واليقين فيما يريد إيصالهُ للمتلقي.
- وقد اختار الشاعر صوت العين الموصولة بالألف قافيةً لقصيدته ليدلل بهذا الصوت على الاستنهاض والانتفاضة والتحرر من الظلم والاستعباد.
- ومن الجانب الإيقاعي لقصيدة الشاعر فقد استعان ببحر البسيط المجزوء؛ لاحتوائه على تفعيلات كثيرة، تعين الشاعر على حرية التعبير، فضلاً عن استعانته بالحذذ والقطع في الضرب؛ مدللاً بذلك على جسد الإمام الحسين عليه السلام المقطّع الأشلاء.

الهوامش:

١- ينظر: جولة تراثية بغدادية في محلة الكولات في بغداد (قناة اليوتيوب) بوساطة المؤرشف التراثي مهدي البديري، تاريخ النشر: ٢٨/ ٥/ ٢٠٢٣م، وقد أدار الحوار: الباحثان التراثيان نبيل الحسيناوي وعصام العزاوي.

٢- أخذتُ هذه المعلومات عبر المحاورة واللقاء مع الشاعر وليد حسين في يوم ٢١/ ٣/ ٢٠٢٤ميلادية، الموافق يوم الخميس، الساعة العاشرة وتسع وأربعون دقيقة.

٣- رهانات المنافي: وليد حسين، بغداد، دار المتن، سنة ٢٠٢٠ميلادية: ١١٧- ١٢٧.

٤- يُنظر تأثير الوظيفة النفسية لشعراء الرثاء الحسيني: د. علي حسين يوسف، بحث منشور في شبكة المعلومات، على وفق الرابط:
http://imamhussain-lib.blogspot.com/2014/08/blog-post 32.ht

٥- رهانات المنافي: ١١٧.

٦- الموتور: اسم مفعول مشتق من (وتر) الذي قُتِل لهُ قتيل ولم يُدرك بدمه. يُنظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر مكتبة المرتضوي، مط: باقرى، ط٢، ١٣٢٧هجرية: مج/ ٢، ٢/ ١٠١٠.

٧- رهانات المنافي: ١١٧.

٨- رهانات المنافي: ١١٧.

٩- قوابضهُ: مشتقة من قبض الشيء قبضاً، أي مِقبَض السيق والسكين. ينظر: المعجم الوسيط: مج/ ٢، ٢/ ٧١١.

١٠- رهانات المنافي: ١١٨.

١١- رهانات المنافي: ١١٩.

١٢- رهانات المنافي: ١٢٤- ١٢٥.

١٣- رهانات المنافي: ١٢٥- ١٢٦.

١٤- رهانات المنافي: ١٢٥.

١٥- رهانات المنافي: ١٢٦- ١٢٧.

المصادر و المراجع:

١- رهانات المنافي: وليد حسين، بغداد، دار المتن، سنة ٢٠٢٠ ميلادية.

٢- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر مكتبة المرتضوي، مط: باقرى، ط٢، ١٣٢٧ هجرية.

- شبكة المعلومات:

- تأثير الوظيفة النفسية لشعراء الرثاء الحسيني: د. علي حسين يوسف، بحث منشور في شبكة المعلومات، على وفق الرابط:
http://imamhussain-lib.blogspot.com/2014/08/blog-post 32.ht

- الزيارات واللقاءات:

- جولة تراثية بغدادية في محلة الكولات في بغداد (قناة اليوتيوب) بوساطة المؤرشف التراثي مهدي البديري، تاريخ النشر: ٢٨/ ٥/ ٢٠٢٣م، وقد أدار الحوار: الباحثان التراثيان نبيل الحسيناوي وعصام العزاوي.

- المحاورة واللقاء مع الشاعر وليد حسين في يوم٢١/ ٣/ ٢٠٢٤ ميلادية، الموافق يوم الخميس، الساعة العاشرة وتسع وأربعون دقيقة.